إذا أراد المسلم أن يسد هذا الفراغ في النفوس المتعطشة، النفوس المنتظرة للمبررات الجديدة ..**فيجب أولاً أن يرفع مستواه إلى مستوى الحضارة أو أعلى منها، كي يرفع الحضارة بذلك إلى قداسة الوجود**، إلى **ربانية الوجود**، ولا قداسة لهذا الوجود إلا بوجود الله. والمسلم إذا أتى بهذا لا بلسانه ولا بشطحاته الصوفية.. وإنما بوصفه إنساناً معاصراً للناس، شاهداً عليهم بالتقى والورع، **بنزاهة الشاهد الصادق، الصادق الخبير، الواعي لقيمة شهادته**.. إذا أتى المسلم هكذا في صورة الإنسان المتحضر الذي اكتملت حضارته بالبعد الذي يضيفه الإسلام إلى الحضارة (وهو بعد السماء)، عندئذ ترتفع الحضارة كلها إلى مستوى القداسة. أي إن

الوجود الذي فقد القداسة في القرنين الأخيرين خصوصاً في هذا القرن تعود إليه قداسته، لأن القداسة من الله، ومن الله وحده ولا شيء يعطي القداسة لهذا الوجود غير الله.

الأشياء المتراكمة. إذ بقدر ما تراكمت الأشياء، وبقدر ما تراكمت الإمكانيات الحضارية اضمحلت القاعدة الأخلاقية الروحية المعنوية التي تتحمل في كل مجتمع عبء الأثقال الاجتماعية والأثقال المادية، إذ لا بد من قاعدة روحية متينة حتى تتحمل هذه الأعباء، هذه الأعباء التي ترزح تحتها أوروبة الحضارة الغربية اليوم، وهي في خضم الأشياء التكنولوجية التي تنتجها .

في الإنسان على العموم، **أما الأزمة التي تنتاب الحضارة أو الإنسان المتحضر اليوم فهي أحياناً تفقده حتى إنسانيته** فيصبح إما وحشاً مفترساً ضارياً ينقض على كل من يستطيع تحطيمه، أو يصبح حيواناً تائهاً في المتاهات التي تفتح له بالمخدرات. هذه هي الأزمة الخطيرة التي تعانيها الإنسانية المتحضرة أو يعانيها الإنسان المتحضر.

ونحن؛ مسلمين وبشراً نشاطر البشرية مصيرها، إن الإنسانية تعيش فعلاً ما يسمى حالة طوارئ. أمام حالة الطوارئ هذه يطرح سؤالٌ: **ما رسالة المسلم؟** إن رسالته قد نلخصها في كلمة لا تعطينا حلاً، ولكن تشفي إلى حدٍّ ما غليلنا، لأنها كلمة مقبولة. وهي مقبولة من ناحية لأن الظروف تفرضها علينا، وتتعارض من ناحية أخرى - ربما في أعماق أذهاننا - مع مقدمات تتنافى مع مقتضيات الرسالة.

فما رسالة المسلم أمام حالة تتطلب الإنقاذ؟

الجواب: إنقاذ نفسه وإنقاذ الآخرين.

كأنما انجذبنا إلى شيء من الغرور، كيف يستطيع الإنسان المسلم الذي لا يتمتع بالإمكانات الحضارية بالقدر الكافي، حتى لتحقيق لقمة عيشه، كيف يستطيع إنقاذ الآخرين؟ وكيف يتطلع لهذه الرسالة؟ إذا تساءلنا هذا السؤال يجب علينا أيضاً أن نتساءل بهذا المنطق نفسه، لماذا استطاع ذلك أولئك الأعراب في عهد محمدﷺ؟ ولماذا اضطلع الفقراء الأُميون بمهمة إنقاذ الإنسانية، وشعروا أنهم جاؤوا من أجل إنقاذها. فقد كانوا يعلنون هذا في أقوالهم ومخاطباتهم للآخرين سواء من أهل الفرس أو من أهل روما. كانوا يقولون لهم: **لقد أتينا لننقذكم**. إنهم لم يشعروا بمركب النقص. لماذا لم يشعروا بمركب النقص؟ لأن الإمكانات الحضارية المتكدسة أمامهم في فارس أو في بيزنطة أو في روما لم تفرض عليهم النقص، وبعبارة أخرى لم تبهرهم، **كانوا يشعرون أمام الإمكانات الحضارية المتكدسة، بإرادة حضارية تفوق كثيراً ما تبقى منها لدى المجتمعات المتحضرة في ذلك العصر**. كذلك الحال اليوم لو أننا عقدنا مقارنة. فليس إذن من الصعب أن يقوم هذا المسلم الفقير، الأعزل، هذا

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١٣/ ١١].

ولا يمكنه أن يغير شيئاً في الخارج إن لم يغير شيئاً في نفسه. وحينما نقول هذه الكلمة نقولها باعتبارها (علماً)، ولا نقولها فقط تبركاً بآية، نقولها (علماً) ونعلم مقدارها من الصحة العلمية، لا يستطيع مسلم أو غير مسلم أن يغير ما حوله إن لم يغير أولاً ما بنفسه، فهذه حقيقة علمية يجب أن نتصورها قانوناً إنسانياً وضعه الله عز وجل في القرآن سنةً من سنن الله التي تسير عليها حياة البشر.

أن يحقق بمفرده شروطاً ثلاثة:

١- أن يعرف نفسه.

٢- أن يعرف الآخرين.

وألا يتعالى عليهم، وألا يتجاهلهم، وهنا يجب أن تحل عقدة نعرفها، وهي أن

المسلم يزهد كثيراً في عالم النفوس بما يتصل بالآخرين، لا يجوز للمسلم أن يجهل ما في نفوس الآخرين، ولا يجوز أن يتعالى على الآخرين، ولا أن يتسامى عليهم بدعوى أنه أعد للجنة وأعد للتكريم، يجب عليه أن يعلم ما في نفوس الآخرين، ويجب عليه أن يعلم ذلك لأمرين لا لأمر واحد؛ إما لكي يتقي شرهم عن معرفة وإدراك لكل معطيات نفوسهم، وإما لتبليغهم إشراق الإسلام وإشراق الهداية الإسلامية، فهو إن لم يعرف النفوس كيف يقدر أن يتصرف معها بحكمة، إن لم يعرف نفوس الآخرين، وظلت صناديقَ مغلقة عليه، فكيف يبلغها الهداية الإسلامية، إنه لن يستطيع. يجب إذن على المسلم بعد أن يعرف نفسه أن يعرف نفوس الآخرين.

٣- أن يعرِّف الآخرين بنفسه.

٣- أن يعرّف الآخرين بنفسه.

ولكن بالصورة المحببة؛ بالصورة التي أجريت عليها كل عمليات التغيير، بعد التنقية والتصفية من كل رواسب القابلية للاستعمار والتخلف وأصناف التقهقر؛ كل أصناف التخلف وأصناف التأخر، ويجب عليه أولاً أن يقوم بهذه التصفية حتى يقدم للآخرين صورة مقبولة محببة بوصفها عينة من العينات البشرية التي يصنعها الإسلامَ، أما إذا تقدم المسلم إلى الآخرين بوصفه عورةً يجب أن يستحي منها، فالعورة تستر ولا تكشف، والعورة لا يمكنها أن تبلغ إشعاعاً؛ الجهل عورة، الفقر الذي يسببه كسلنا وكسادنا عورة، الفوضى عورة، وهذه العورات كلها لا تستطيع ولا تتيح لشخصية المسلم أن تبلغ إشراق الإسلام.